الفصل الأول

الأساليب القرآنية في الحث على الأخوة الإسلامية

المبحث الأول : الحث الصريح على الاخوة فى قوله تعالى : ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ :

هذه الأخوة المتعارف عليها عند الناس لم ينكرها الاسلام ، ولكنه ارتقى بها عن معنى الأخوة القريبة الى الأخوة الانسانية ، ثم اعتبر هذا المعنى الجسدى أضعف العناصر التى تشتمل عليها معانى الأخوة الصحيحة ، ثم بصر الناس بالعناصر الأهم والأخطر ، التى تنعقد بها الأخوة المتينة الصادقة ، وهذه العناصر كلها عناصر سامية راقية ، أعمق تغلغلا فى الانسان من حدود بنائه الجسدى وروابطه المادية ، وهذه العناصر الراقية العظيمة كلها تلتقى تحت عنوان الأخوة الاسلامية .

ولدى تحليل عناصر الأخوة الايمانية تنكشف لنا العناصر التالية :

أولا : الالتقاء الفكرى على عقيدة علمية واحدة .

ثانيا : التقاء قلوب المؤمنين على عاطفة دينية واحدة ، وأهداف غائية واحدة .

ثالثا : التقاء أفراد المسلمين على سلوك فردى واجتماعى متحد أو متقارب جدا فى خطته العامة ، سواء أكان سلوك عبادة ، أو سلوك أخلاق ، أو سلوك آداب ، أو سلوك أحكام تشريعية ونظام حياة .

رابعا : التقاء جماعة المسلمين تحت قيادة واحدة ضمن أسس التعاليم الاسلامية .

ان الأخوة الايمانية القائمة على هذه العناصر أخوة متينة باقية ، وعميقة عمق الايمان فى قلوب المؤمنين .

بخلاف الأخوة القائمة على الالتقاء الجسدى البحت الخالى من عناصر الأخوة المعنوية ، فانها من غير الممكن أن تتكون منها جماعة صحيحة قوية تصمد لعوامل التمزيق ، وعوامل التفكك والخلاف ، لاسيما اذا كان بين أفرادها خلاف فكرى ، أو خلاف اعتقادى ، أو خلاف فى المصالح والغايات والأهداف ، فمن المشاهد المتكرر أن اخوان النسب يتقاتلون متى اختلفت عقائدهم ومصالحهم وأهدافهم فى الحياة ، وأن أخوة الايمان والحب فى الله يتعاملون فيما بينهم بالأخوة ، وان اختلفت مصالحهم الفردية . على أن مصالحهم الجماعية العامة مصالح واحدة يعود نفعها وخيرها على الجميع . وتدعيما للأخوة الايمانية العامة أقام الرسول صلى الله عليه وسلم روابط ثنائية وثلاثية أو أكثر بين المهاجرين والأنصار بعد أن هاجر الى المدينة ، حتى بلغت حد التوارث أول الأمر ، ثم نسخ حكم التوارث هذا ، وفى هذا التآخى التدعيمى الزائد على الأخوة الايمانية العامة ، جعل الرسول صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وجعل أبا بكر وخارجة بن زيد أخوين ، وجعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين ، وجعل عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وجعل عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، وهكذا عقد أخوة خاصة بين أصحابه اضافة الى الأخوة الايمانية العامة ، وتدعيما لروح الرابطة الجماعية ، وتعميقا لها فى القلوب[1] .

والأخوة فى الدين أعلى مراتب الأخوة وأعظمها وأكبرها ، وهى رباط اجتماعى لا يماثله رباط آخر ولا يقاربه .

حتى الرباط بين الوالد وولده ، وبين الأخ فى النسب ، وبين الزوج

---

(١) الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن بن حبنكه الميدانى ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٥ : ١٨٦

وزوجته بدون توافق فى الدين يعتبر رباطا واهيا ضعيفا اذا ما قورن برباط الدين .

ولذلك يحارب الأخ أخاه ، والولد أباه ، والزوج زوجته فى سبيل الدين ومن أجل مرضاة الله .

والمراد بالأخوة فى الدين أن يكون المسلم عميق الايمان بربه ، سريع الاستسلام لشريعته ، قوى الصلة بخالقه ، يحب ما أحب الله ، ويبغض ما يبغضه ، له سلطان على هواه ، لا يشرك به أحدا ، ولا يؤثر على مرضاته والدا ولا ولدا . فهو بذلك عبد ربه ، وأسير حبه ، وواقف عند حدوده ، وضارع ذليل اليه فى جميع شئونه .

ومن هنا ينطلق بنور حب الله فيحب كل عبد يحب الله ويعبده ، ويصافى كل انسان يؤمن بالله ويوحده ، ويجد فى قلب كل مسلم روضة من الايمان والاسلام تجذبه اليه وتربطه به .

فالأخوة فى الدين لا تنشأ من التكليف ، بل من التعريف ، ورباط الدين يجمع بين المؤمنين كما يجمع نور الشمس بين المبصرين ، والذى يؤمن بالله ويحبه حب المخلصين يحب من أجل الله جميع المؤمنين .

ولذلك ذكر القرآن الكريم الأخوة بين المؤمنين على أنها أمر طبيعى من مستلزمات الايمان ، ولم يأت فى القرآن أمر بالأخوة بين المؤمنين ، لأن الأمر معناه أن الايمان وحده ليس كافيا فى ايجاد رباط الأخوة بينهم ، وليس الأمر كذلك ، قال تعالى : ﴿ **انما المؤمنون اخوة** ﴾(١) .

و « انما » أداة حصر . فيكون المعنى : لا يكون المؤمن الا أخا للمؤمن ، فان ضعفت الأخوة فمن ضعف الايمان ، كما أن قوتها من قوة الايمان . وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عباد الله اخوانا » فعلى معنى : احرصوا يا عباد الله على أخوتكم بتصفية نفوسكم وتطهير قلوبكم وقوة ايمانكم .

---

(١) الحجرات : ١٠

وليس معناه : أنشئوا الأخوة بينكم ، لأنها نشأت بالاتفاق فى الايمان والاسلام .

وليس من مستلزمات الأخوة الايمانية أن تحب ذات أخيك المؤمن ، فقد لا تكون بينك وبينه مشاكلة وموافقة فى ذلك بسبب الشكل ، أو العادات والتقاليد ، أو البيئة والتصرفات العادية ، أو غير ذلك مما لا يمت للدين بصلة .

ولكن من مستلزمات الأخوة أن تحب فى أخيك المؤمن ايمانه ، وعبادته ، وطاعته لربه ، واستسلامه لخالقه ، وسلوكه فى سبيل الله تعالى . كما أن من مستلزمات ذلك ومقتضياته أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، وتؤدى ما عليك من حقوق له حسبما جاء بها الاسلام .

ومن هنا يتضح الفرق بين رباط الدم والنسب وبين رباط الايمان والاسلام ، فان رباط الايمان والاسلام أقوى وأخطر ، لأنه رباط بين العبد وربه .

ورباط الايمان حاكم على رباط الدم والنسب ومهيمن عليه .

وهو الرباط الباقى فلا يفنى ، والأبدى فلا يزول بعد أن يموت عليه صاحبه ، وهو المعبر عن كيان الانسان ومكانته عند الله فى الدنيا والآخرة .

وهو وحده أساس السعادة والسيادة والكرامة والعزة .

وهو اشراقة النور فى قلب الانسان ، وبدونه يكون الظلام ومضلات الهوى . وبالايمان يتغير الفكر والسلوك وأنواع المعاملات والتصرفات . لذلك لا عجب ولا غرابة فى قول الله تعالى :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾(١) .

---

(١) المجادلة : ٢٢

والأخوة الايمانية الصادقة حين تتشبع بها أسرة أو مجتمع أو أمة ، فانها تحدث انقلابا اجتماعيا عميق الأثر ، عظيم الخطر ، بعيد المدى فى آثاره ونتائجه .

ولذلك امتن الله تعالى على المؤمنين بأن جعلهم اخوانا متحابين ، كما امتن عليهم بأن جعلهم مؤمنين مخلصين ، وقدم التفضل بالأخوة على التفضل بالايمان ، لتعظيم فضل الأخوة ، وأنها لا تقل عن فضل الايمان الا بمقدار ما يقل الفرع عن الأصل ، مع شدة ارتباط كل منهما بالآخر[1] .

* * *

(١) انظر : السلوك الاجتماعى فى الاسلام ـ حسن أيوب ص ٢٩٤ـ٢٩٦

obeikandl.com

المبحث الثانى

الحث غير المباشر على الأخوة فى الله بذكر نعم الله على المسلمين المتآخين فى الله فى قوله :

﴿ فأصبحتم بنعمته اخوانا ﴾

الاسلام يقيم الصلة بين المسلمين على الاخاء الوثيق .. الاخاء الخالص لله عز وجل .. الاخاء لذى يغذيه الايمان ، والذى يرتبط بأهداف الدعوة الاسلامية ، هذا الاخاء هو روح الاسلام ولب مبادئه وشرائعه وقوام جماعته .

يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ﴾(1)** .

لقد كان الناس قبل الاسلام ؛ جماعات متنابذة وفرقا متعادية ، وأهواء متعارضة ، فكان من فضل الله عليهم أن أرسل اليهم نبى الرحمة يجمع على الايمان قلوبهم ، ويوحد على طريق الحق صفوفهم ، ويزيل من النفوس كل مسببات الشحناء ، ويطهر القلوب من كل أسباب البغضاء .. وجاهد الهادى الحبيب صلى الله عليه وسلم فى الله حق جهاده مستمدا العون من الله عز وجل .. حتى ارتفع صرح المجتمع الاسلامى ، وتماسكت لبناته على أساس من الأخوة فى الله .. فحل التفاهم والتراحم محل التخاصم والتقاطع ، وحلت المبادرة الى الخير محل المبادرة الى الشر .. وصارت الرابطة التى تجمع المسلم الى المسلم هى رابطة العقيدة وأخوة الدين ؛ وتحطمت حواجز الجنس أو اللغة ، لتحل محلها روابط المبادىء السامية .

---

(1) آل عمران : ١٠٣

وصـــار المسلمون فى ظـــل تلك الأخوة الكريمة يلين بعضـــهم لبعض ويرحم بعضهم بعضـــا ، ويرفق قويهم بضعيفهم ، ويعين قادرهم عاجزهم ، ويألم المؤمن لألم أخيه ، ويفرح لسروره ..

صار المسلمون فى ظل الأخوة والمحبـــة دعـــاة للخير ونهـــاة عن الشر .. وتلونت عواطفهم الانسانية بالحب والبغض تبعـــا لمـــا يصيب الاسلام وأمته من خير أو شر ، وتلون سلوك المســـلم فى حيـــاته وفق ما تقضى به هذه الأخوة الايمانية الكريمة .. فهو يمنع أذاه عن اخوانه المؤمنين ، وهو يرد عنهم عاديات الزمان ، وهو يؤثرهم على نفسه عنـــد الحاجة ، وهو يعين من يحتاج الى عونه وبره .. وهو يحب أهل التقوى والصلاح ، ويكره أهل الالحـــاد ، ومن يكون حربا على دين الحـــق ولو كانوا يمتون اليه بقرابة أو دم .. والمؤمن فى ظلال الأخوة الايمانية يرشد أخـــاه اذا ضل .. ويبصره اذا وجد فيه انحرافا .. ويعينه على الخير والهدى ان وجده مستقيما على الخير والهدى .

تلكم هى الأخوة الايمانية .. انها أخوة تعتمد على ركنين عظيمين: على رسالة مقدسة تنزلت من رب العالمين ... فهم يعيشون لها ، وينفانون فى ســـبيلها .

وعلى أمة متساندة متعاونة للعمل بهـــا فى كل مجال من مجالات الحيـــاة .

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ..

لقد جاءت فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة للحض على الأخوة وتأكيدها واقامتها على مبادىء الدين وغاياته .. وجعل هذه الأخوة شركة روحية ومادية قائمة على الوفاء بتعاليم الاسلام، وانفاذ وصاياه ، وابلاغ هداياته ، وبتلك الأخوة الصادقة تعيش الأمـــة الاسلامية مخلصة لرسالتها ، حريصة على انجاحها ، تحيا لها ، وتحيا لها ، ولا ترضى سوى رسالتها السماوية موضوعا لا عنوانا ..

لمـــاذا ؟ لمـــاذا لا يرضى المؤمن عن منهاج غير منهاج الاســـلام ؟

ولا تنعلق نفسه الا بحب هذا الدين وانفاذ وصـاياه ، ولزوم مبـادئه وأحكامه ؟

ذلك لأن الايمان فى الاسلام ليس كلمة تقال ، وانما هو اطمئنان القلب وعمل تظهر آثاره فى سلوك الفرد وحياة الجماعة .. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب فى الله ويبغض فى الله . وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب اليـه من أن يشرك بالله شـيئا »[1] .

فالمسلمون ارتبطت آمالهم وحياتهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله بالانتساب اليه ، وحب الله يقتضى اتباع أوامره سبحانه ، وتطبيق أحكامه، واجتناب ما نهى عنه ، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضى اتبـاع سنته ، والسير على منهاجه .

والحب فى الله يقتضى أن تكون العلاقة بين المسلم والمسلم قائمـة على المودة والتناصـح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والوفـاء والاخلاص فى السر والعلن .. والبغض فى الله يقتضى أن يكره المؤمن كل ما من شأنه أن يكون معاديا لكلمة الله ، ولمبادىء الحق والخير التى جاء بها الاسلام ، ولهذا كان من الخير للمؤمن .. أن يقذف فى النـار من أن يحيد عن منهاج الاسلام ، ومن أن يشرك بالله شيئا .

ان أهل الاخلاص المتحابين لله ، وفى سبيل الله يشملهم الله برحمته يوم تدنو الشمس من الرؤوس .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليـوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى »[2] .

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٤٣ ، ٦٦

(٢) انظر : مرشد الدعاة الى الله ــ أحمد بن محمد طاحون ، ص١٧٤ ومـا بعـدها .

ويقول الشهيد سيد قطب فى تفسيره « فى ظلال القرآن » :

« هناك قاعدتان متلازمتان هما : الايمان ، والأخوة ..

الايمان بالله وتقواه ومراقبته فى كل لحظة من لحظات الحيـاة ، والأخوة فى الله ، تلك التى تجعل من الجماعة المسلمة بنيـة حية قوية صامدة ، قادرة على أداء دورها العظيم فى الحياة البشرية ، وفى التاريخ الانسانى : دور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر .

﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾(١) .

انهما ركيزتان تقوم عليهما الجماعة المسلمة ، وتؤدى بهما دورهـا الشاق العظيم . فاذا انهارت واحدة منهما لم تكن هناك جماعة مسـلمة ، ولم يكن هنالك دور لهـا تؤديه :

ركيزة الايمان والتقوى أولا .. التقوى التى تبلغ أن توفى بحق الله الجليل .. التقوى الدائمة اليقظة التى لا تغفل ولا تفتر لحظة من لحظات العمر حتى يبلغ الكتاب أجله .

﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ ..

اتقوا الله ـ كما يحق له أن يتقى ـ وهى هكذا بدون تحـديد تدع القلب مجتهدا فى بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها . وكلما أوغل القلب فى هذا الطريق تكشف له آفاق ، وجدت له أشواق . وكلما اقترب بتقواه من الله ، تيقظ شوقه الى مقام أرفع مما بلغ ، والى مرتبة وراء ما ارتقى . وتطلع الى المقام الذى يستيقظ فيه قلبه فلا ينام .

﴿ ولا تموتن الا وانتم مسلمون ﴾ ..

والموت غيب لا يدرى انسـان متى يدركه . فمن أراد ألا يموت

---

(١) آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣

الا مسلما فسبيله أن يكون منذ اللحظة الأولى مسلما ، وأن يكون فى كل لحظة مسلما • وذكر الاسلام بعد التقوى يشى بمعناه الواسع : الاستسلام • الاستسلام لله ، طاعة له ، واتباعا لمنهجه ، واحتكاما الى كتابه ؛ وهو المعنى الذى تقرره السورة كلها فى كل موضع منها •

هذه هى الركيزة الأولى التى تقوم عليها الجماعة المسلمة لتحقيق وجودها وتؤدى دورها • اذ أنه بدون هذه الركيزة يكون كل تجمع تجمعا جاهليا • ولا يكون هناك مناهج جاهلية • ولا تكون هناك قيادة راشدة فى الأرض للبشرية • انما تكون القيادة للجاهلية •

فأما الركيزة الثانية : فهى ركيزة الأخوة فى الله على منهج الله ، لتحقيق منهج الله •

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ﴾(١) •

فهى أخوة اذن تنبثق من التقوى والاسلام •• من الركيزة الأولى •• أساسها الاعتصام بحبل الله ــ أى عهده ونهجه ودينه ــ وليست مجرد تجمع على أى تصور آخر ، ولا على أى هدف آخر ، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة !

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ••

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى • وهى نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائما • وهو هنا يذكرهم هذه النعمة •• يذكرهم كيف كانوا فى الجاهلية « أعداء » •• وما كان أعدى من الأوس والخزرج فى المدينة أحد • وهما الحيان العربيان فى يثرب • يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون فى نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا • ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذى لاتعمل الا فيه ، ولا تعيش الا معه • فألف الله بين

(١) آل عمران : ١٠٣

قلوب الحيين من العرب بالاسلام • وما كان الا الاسلام وحده يجمع هـذه القلوب المتنافرة • وما كان الا حبل الله الذى يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا •

وما يمكن أن يجمع القلوب الا أخوة فى الله ، تصغر الى جانبهـا الأحقاد التاريخية ، والثـأرات القبلية ، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية • ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال ••

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخـوانا ﴾(١) ••

ويذكركم كذلك نعمته عليهم فى انقاذهم من النار التى كانوا على وشك أن يقعوا فيها ، انقاذهم من النار بهدايتهم الى الاعتصام بحبل الله ـ الركيزة الأولى ـ وبالتأليف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانـا ـ الركيزة الثانية : **﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ﴾** •

والنص القرآنى يعمد الى مكمن المشاعر والروابط : « القلب » •• فلا يقول : فألف بينكم • انمـا ينفذ الى المكمن العميق : **﴿ فالف بين قلوبكم ﴾** فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه • كذلك يرسم النص صورة لمـا كانوا فيه • بل مشهدا حيا متحركا تتحرك معه القلوب • **﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾** •• وبينمـا حركة السقوط فى حفرة النار متوقعة ، اذا بالقلوب ترى يد الله ، وهى تدرك وتنقذ !

وحبل الله وهو يمتد ويعصم • وصورة النجاة والخلاص بعد الخطر

---

(١) آل عمران : ١٠٣

والترقب وهو مشهد متحرك حى تنبعه القلوب واجفة خافقة ، وتكاد العيون تتملاه من وراء الأجيال .

وقد ذكر محمد بن اسحاق فى السيرة وغيره : أن هذه الآية نزلت فى شأن الأوس والخزرج . وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج ، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة ، فبعث رجلا معه ، وأمره أن يجلس بينهم ، ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم « بعاث » وتلك الحروب ففعل . فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم ، وغضب بعضهم على بعض ، وتثاوروا ونادوا بشعارهم . وطلبوا أسلحتهم . وتواعدوا الى « الحرة » ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يسكنهم ، ويقول « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » ؟ وتلا عليهم هذه الآية ، فندموا على ما كان منهم ، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح .. رضى الله عنهم .

وكذلك بين الله لهم فاهتدوا ، وحق فيهم قول الله سبحانه فى التعقيب فى الآية : ﴿ **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾(١) .

فهذه صورة من جهد يهود لتقطيع حبل الله بين المتحابين فيه ، القائمين على منهجه ، لقيادة البشرية فى طريقه .. هذه صورة من ذلك الكبد الذى تكيده يهود دائما للجماعة المسلمة ، كلما تجمعت على منهج الله واعتصمت بحبله . وهذه ثمرة من ثمار طاعة أهل الكتاب . كادت ترد المسلمين الأولين . كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض . وتقطع بينهم حبل الله المتين ، الذى يتآخون فيه مجتمعين . وهذه صلة هذه الآية بالآيات قبلها فى هذا السياق .

على أن مدلول الآية أوسع مدى من هذه الحادثة . فهى تشير ـ مع ما قبلها فى السياق وما بعدها ـ بأنه كانت هناك حركة دائبة من

---

(١) آل عمران : ١٠٣

اليهود لتمزيق شمل الصف المسلم فى المدينة ، واثارة الفتنة والفرقة بكل الوسائل . والتحذيرات القرآنية المتوالية فى اطاعة أهل الكتاب ، ومن الاستماع الى كيدهم ودسهم ، ومن التفرق كما تفرقوا .. هذه التحذيرات تشير لشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود فى المدينة ، ومن بذرهم لبذور الشقاق والشك والبلبلة باستمرار .. وهو دأب اليهود فى كل زمان . وهو عملها اليوم وغدا فى الصف المسلم فى كل مكان »[1] .

* * *

(١) انظر : فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ط. ٨ ـ القاهرة ، جدة : دار الشروق ـ جـ ١ ص ٤٤٢ ، ٤٤٣

obeikandl.com

المبحث الثالث

الحث على التزام الأخوة الايمانية من خلال ذكر وقائع الأمم السابقة

انحرفت عاد ـ قوم هود ـ عن جادة الطريق ، وكفرت بأنعم الله وأبت الاذعان لرسولها هود عليه السلام ، والايمان بدعوته ، فأهلكها الله بذنوبها .. فورثت ثمود الأرض بعد عاد ، فخلفوهم فيها ، وعمروها أكثر مما عمروها ، فبنوا القصور فى السهول ، ونحتوا من الجبال بيوتا ، ليأمنوا مصائب الدهر ، ونوائب الحدثان ، وكانوا يتقلبون فى ترف من العيش ، وبحبوحة من الرزق والنعمة ، دون أن يحمدوا الله على فضله ، ويشكرونه على نعمه ، بل عتوا فى الأرض ، وأعملوا الفساد فى جنباتها ، وبعدوا عن معالم الحق ، ونفروا من مواطن الهدى ، وانحرفوا بالعقيدة ، فعبدوا غير الله من المخلوقين ، وألهوا سواه من البشر .

● **صالح مع قومه :**

بعث الله اليهم أخاهم صالحا بدين يهديهم الى عبادة الله وحده ، وينصحهم بترك ما هم عليه من عباة الأوثان ، لأنها لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ، ولا تغنى عنهم من الله شيئا ، والى هذا تشير الآية الكريمة :

﴿ والى ثمود اخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾(1).

وكان أول شيء فعله صالح عليه السلام أن ذكرهم بأواصر القربى التى تربطه بهم ، فخاطبهم بلفظ : « يا قوم » لعل ذلك يلين من قلوبهم المتحجرة ،فيؤمنوا . لكن ما كاد صالح يدعوهم الى الحق حتى أصموا آذانهم ، وأنكروا عليه نبوته ، وسخروا من دعوته ، وزعموا أنها بعيدة عن الحق ، بل لاموه على صدورها منه ، وهو الذى كان موضع رجائهم

---

(1) الاعراف : ٧٣

فى كل معضلات أمورهم ، وكان مستشارهم الأمين فيما يعرض لهم من مشكلات ، فقد كان عندهم ثاقب الفكر ، صائب الرأى ، لكنهم انقلبوا عليه فجأة حين أنكر عليهم عبادة آلهتهم التى عرفوها ، ونشأوا متمسكين بها .. ومن هنا أعلنوا أنهم لا يثقون فى دعوته ، ولا يطمئنون الى قوله ، وأنهم فى شك مما يدعوهم اليه ، وقالوا :

﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب ﴾(١)

لكن صالحا أخبرهم انه يبتغى نفعهم ، ويرجو اصلاحهم وأنه لا يتطلع الى رئاسة ، فانه اذا ترك دعوتهم الى الحق بعد أن اختاره الله رسولا اليهم ، فمعنى ذلك أنه يعصى الله ، ويكتم رسالته ، ويكذب عليهم ، فمن ينصره من الله ، ويدفع عنه عقابه ، واذن فما دام هو على حق ، فانه لن يبالى بما هم عليه من شك لأنه لو حرص على مودتهم وطاوعهم ما زاده ذلك الا تعرضا لغضب الله ومقته :

﴿ قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته ، فما تزيدوننى غير تخسير ﴾(٢) .

ومن ناحية أخرى ذكرهم صالح عليه السلام بما أعطاهم الله من نعم ، وبما يتقلبون فيه من متاع ، اذ كانت ثمود تعيش فى حضارة عمرانية تالية لعاد ، وظهر فيهم أثر النعمة والتمكن فى الأرض ، والتحكم فيها[٣] فانطلقوا فى الحياة افسادا وعبثا ، واغترارا بهذا التمكين والقوة وعاشوا فيها غير آبهين بالعبرة الماثلة أمامهم فى عاد الغابرة :

﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾(٤) .

---

(١) هود : ٦٢ (٢) هود : ٦٣
(٣) انظر فى ظلال القرآن : سيد قطب ـ جـ ٣ ، ص ١٥٥
(٤) الأعراف : ٧٤

ثم نقرأ ما قاله لهم صالح عليه السلام ، حين صور لهم المتاع الذى يعيشون فيه ، بعد استخلافهم الحياة بعد عاد ، وما هم ماضون فى جنبات الأرض فى غفلة ، لا يفكرون فى شكر من وهب لهم هذه النعم ، ولا يقدرون منشئها ، يقول لهم صالح : ﴿ **أتتركون فى ما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون** ﴾(١) .

ونلاحظ فى هذه الآية أن صالحا يبدأ كلامه معهم بقوله : ﴿ **أتتركون فى ما ههنا آمنين** ﴾ فهو يسألهم مستنكرا : أتظنون أنكم متروكون لهذا الذى أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة .. أتتركون فى هذا كله آمنين دون أن يصيبكم ما يعكر عليكم صفو حياتكم ؟

وبعد أن يقول لهم هذه الكلمات ، ليوقظ بها قلوبهم ، وينبه بها أفكارهم ، يناديهم الى التقوى ، والى الطاعة والى عدم متابعة المفسدين الذين يميلون الى الفساد ، ولا يحبون الاصلاح ، ونلمح هذا فى قوله لهم: ﴿ .. **فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون** ﴾ .

لكن هذه النداءات لا تصل الى تلك القلوب الجافية القاسية ، فلا تصغى لها ولا تلين .

* * *

● **آية صالح :**

ثم أراد القوم أن يتبينوا صحة دعوته ـ كشأن كل مرتاب فى الدعوات الصالحة متشكك فى صحتها ، فطلبوا منه أن يأتيهم بآية . وأن تكون هذه الآية ناقة عشراء يخرجها لهم من صخرة عينوها(٢) فأخذ

---

(١) الشعراء : ١٤٦ ـ ١٥٢

(٢) راجع تفسير سورة الشعراء بتفسير ابن كثير ـ جـ ٣ ، ص ٣٤٤ ط . الحلبى .

صـالح عليهم المواثيق والعهـود أن يؤمنـوا به اذا أجابهم الى طلبهم فأعطوه ميثاقهم .. ودعا صالح ربه أن يجيبهم الى طلبهم . فاستجاب الله تعالى له . وانفطرت تلك الصخرة عن ناقة عشراء على الصفة التى وصفوها . فطلب منهم صالح ـ كما أمره الله ـ أن يكون للناقة يوم تشرب فيه وترعى . وأن يكون لهم يوم تمتنع فيه النـاقة عن الشرب والأكل ويحلبون هم منها ما يكفيهم شربا وريا .. وحذرهم صالح ألا يمسوها بسوء ، ويقص علينا القرآن الكريم ما كان من شأن الآية يقول الله تعالى :

﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسـوها بسـوء فياخذكم عذاب يوم عظيم ﴾(١) .

هكذا أبان صالح عليه السـلام آية حجته على رسالته . وأن هذه الآية واضحة لا لبس فيها ولا غموض .

لكنهم بعد أن تبين لهم الصدق والحق فيما يدعو اليـه . عادوا يتعجبون من نبوته وكبر عليهم أن يبعث الله بشرا منهم رسولا يدعوهم الى الهدى والحق . وقالوا ما معناه : كيف يأتيه الوحى من بيننا وهو واحد منا يعيش بيننا . لقد تجاوز صالح حد الرشد والاعتدال فى دعواه هذه :

﴿ فقالوا أبشرا منـا واحـدا نتبعه انـا اذن لفى ضـلال وسـعر . أءلقى الذكر عليـه من بيننا بل هو كذاب اشر ﴾(٢) .

* * *

● **المؤمنون برسـالة صالح :**

بعد وضوح آية الناقة آمن بعض المستضعفين من قـوم صـالح بدعوته . وصدقوا برسالته واتبعوه .. وهـذه سـنة الله تعـالى فى البشر . فقد مضت على أن يسـبق الفقراء المستضعفون من العباد الى الاستجابة لدعوات الرسل . لأنه لا يشق عليهم أن يكونوا أتباعا لغيرهم من المصلحين . فقد يصيبهم خير من هذا الايمان والاتباع . هذا بعكس أكابر القوم الذين يثقـل عليهم أن يكونوا تابعين لغيرهم . لأن ذلك سيسقطهم من منزلة الرئيس الى منزلة المرءوس وسيحد من شهواتهم .

---

(١) الشعراء : ١٥٥ ـ ١٥٦ (٢) القمر : ٢٤ . ٢٥

ويوقف من اسرافهم ، ثم فيه بعد ذلك زوال لدولتهم ، وذهاب لسلطانهم على الضعفاء من الناس .. على هذه السنة جرى خطاب المستكبرين من قوم صالح للمستضعفين منهم حين قالوا : **﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ ؟ (١)** .

ورد المؤمنون بصالح على المستكبرين ردا يترجم عن صدق ايمانهم ويدل على اطمئنان قلوبهم بدعوة صالح ، وأنهم أقبلوا عليها بيقين وعلم ، بعد أن ملأت عليهم شعورهم وأفكارهم : **﴿ قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ﴾(٢)** .

وطبيعى أن هذا الرد من المؤمنين بصالح الضعفاء فى عددهم وحولهم ، لم يقنع الملأ الذين استكبروا ؛ ولم يرقهم ايمانهم بصالح وبدعوته الى وحدانية الله ، فردوا على أبناء قومهم معلنين الكفر والجحود: **﴿ قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ﴾(٣)** .

* * *

● **طلبهم تعجيل العذاب :**

ظلت ناقة صالح بين ظهرانى قومه حينا من الدهر ترد الماء وترعى وتأكل يوما . وينتفعون هم بها يوما . فلما طال عليهم الأمد تمرد المتكبرون منهم على آية الله . وتمادوا فى طغيانهم . وعقروا الناقة . معرضين عن كل النذر والتحذيرات بعدم عقرها . ثم سألوه ــ فى استخفاف واستهزاء ــ أن يعجل بعذابهم . وأن يأتيهم بما وعدهم ان كان مرسلا من الله بحق : **﴿ وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ﴾(٤)** وعرف صالح أنهم يستعجلون العذاب وهم جاهلون لما يقولون . غير مدركين لأهوال العذاب . فأراد ــ اشفاقا عليهم ــ أن يلقى عليهم قولا لينا رحيما لعلهم يتوبون الى رشدهم . ويرجعون عن غيهم ؛ فيسألوا الله الهداية لأنفسهم ويتضرعوا

---

(١) الأعراف : ٧٥ (٢) الأعراف : ٧٥
(٣) الأعراف : ٧٦ (٤) الأعراف : ٧٧

اليه بالتوبة والاستغفار ، عسى أن يرحمهم ويتوب عليهم : ﴿ **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ، لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** ﴾(١) .

* * *

● **تشاؤم قوم صالح منه :**

لكن كلمات صالح ذهبت هباء ، فلم تصل الى أعماق قلوبهم ولم يستجيبوا لها . بل تمادوا فى الضلال ومضوا فى الغى ، واستسلموا لنزوات الشر .. وكان كلما أصاب أحدهم مكروه أرجعوه الى صالح وأتباعه المؤمنين ، واعتبروهم مصدر شؤم وشر لهم . وفى هذا يقص القرآن على لسان ثمود قولهم لصالح : ﴿ **قالوا اطيرنا بك وبمن معك** ﴾(٢) فرد عليهم رسولهم صالح بما معناه : ان الله قدر عليكم ما تتشاءمون به ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون فتنة من الله لكم على ما أنتم عليه من بهتان وضلال: ﴿ **قال طائركم عند الله ، بل انتم قوم تفتنون** ﴾(٣) .

* * *

● **تآمرهم عليه :**

ويئس أكابر ثمود من صالح ، وتضايقوا من اصراره على التمسك بدينه ، وثباته على مبدئه ورأوا قوة حجته ، وعظيم منطقه ، فخشوا أن يكثر أتباعه وتنتشر دعوته ، وتزدهر مبادئه ، وعز عليهم أن يكون هو المرشد للقوم اذا اشتد الخطب ، فينصرفوا عنهم ، فيفقدون بذلك زعامتهم وكهنوتيتهم وينزلوا من عليائهم .. لذلك تحالفوا أن يتسللوا اليه فى جنح الظلام ويباغتوه وأهله نيام ، فيوقعوا به فى غفلة من الناس ، كما أجمعوا أمرهم بينهم على أن يكون التخلص من صالح سرا لا يذيعونه ، ولا يتناقلونه مطلقا ظنا منهم أن قتل صالح وأهله سيريحهم من عنائه لهم وسيعصمهم من العذاب الذى ينتظرهم ، وقد نزل قوله تعالى فى شأن تلك المؤامرة :

---

(١) النمل : ٤٦ (٢) النمل : ٤٧
(٣) النمل : ٤٧

﴿ وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ﴾(١) .

لكن الله القوى العزيز حمى صالحا من كيد أعدائه ، فأحبط مكرهم ورد اليهم كيدهم ، وعكس عليهم أمرهم فقال الله فى هذا : **﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾(٢) .**

* * *

● **هلاك ثمود .. ونجاة صالح :**

عندما جاء قوم صالح ليلا لبقتلوه ، أنزل الله بهم عقابه الرادع مظاهرة لنبيه ، وتصديقا لوعده له اذ أنزل عليهم صاعقة مدمرة . فأهلكتهم بظلمهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كما أرسل الله عليهم صيحة من السماء ، وأصابتهم رجفة شديدة من أسفل ، ففاضت أرواحهم وأصبحوا صرعى وجثثا هامدة . وفى شأن نهايتهم المؤلمة المفجعة نزلت الآيات بقول الله تعالى : **﴿ واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كان لم يغنوا فيها ، الا ان ثمودا كفروا ربهم ، ألا بعدا لثمود ﴾(٣) ، ﴿ فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾(٤) ، ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴾(٥) .**

﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾(٦).

هكذا هلك المعاندون من ثمود وطويت صفحتهم ، ولم يمنعهم من العذاب ، ما شادوا من قصور شامخة ، ونحتوا من بيوت آمنة منيعة ، وما جمعوا من أموال وفيرة ، وما غرسوا من جنات واسعة .

---

(١) النمل : ٤٨ ، ٤٩ (٢) النمل : ٥٠
وراجع فى هذا أيضا : الآية ٣١ من سورة القمر .
(٣) هود : ٦٧ ـ ٦٨ (٤) الأعراف : ٧٨
(٥) فصلت : ١٧ (٦) النمل : ٥٢

ونجى الله نبيه صـــالحا مما أراد المعاندون به ، وأنقذه هو والذين معه من العذاب ، وفى شـــأنه نزل قوله تعالى :

﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾(١) . ﴿ فلما جـاء أمرنا نجينا صـــالحا والذين آمنوا معه برحمة منـا ومن خزى يومئذ ، ان ربك هو القوى العزيز ﴾(٢) .

ورأى صالح عليه السلام ما حل بالســـفهاء من قومه ــ عنـــدما أصبحت جثثهم هامدة ، وديارهم خاوية ، فتولى عنهم والأسى يملأ نفسه والحسرة تقطع نياط قلبه والألم يعنصر فكره :

﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقـد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾(٣) ، (٤) .

* * *

(١) فصلت : ١٨ (٢) هـود : ٦٦

(٣) الأعراف : ٧٩

(٤) انظر : الأنبياء فى القرآن ــ سعد صادق محمد ــ ص ٩٣ ، ١٠٥ بتصرف .

obeikandl.com

المبحث الرابع

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن اسحاق :

« وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ، ثم أخذ بيد على ابن أبى طالب ، فقال : « هذا أخى » . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخوين ، واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت ؛ وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ؛ الطيار فى الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخوين » .

قال ابن هشام :

« وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة » .

قال ابن اسحاق :

« وكان أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ ابن أبى قحافة ، وخارجة ابن زهير أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعتبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج ، أخوين ، وأبو عبيدة الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين :

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين ، ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف بنى زهرة ، أخوين ، وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر . أخو بنى النجار ، أخوين ، وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخوين ، وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب ، أخو بنى النجار أخوين ، ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النحار ، أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين ، وعمار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بنى عبد عبس ، حليف بنى عبد الأشهل ، أخوين ، ويقال ان : ثابت بن قيس بن الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر ، أخوين ، وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفارى ، والمنذر بن عمرو المعنق ليموت ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين » .

قال ابن اسحاق :

« وكان حاطب بن أبى بلتعة ، حليف بنى أسد بن عبد العزى ، وعويم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين ، وسلمان الفارسى ، وأبو الدرداء ، وعويمر بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين .

وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو رويحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ، ثم أحد الفزع ، أخوين .

فهؤلاء من سمى لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : الى من تجعل

ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رويحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضم اليه ، وضم ديوان الحبشة الى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خثعم فى هذا اليوم بالشام .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل » .

(قال ابن هشام : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال) .

« وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم ، أو اثم أو عدوان ، أو افساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وأن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الا أن يرضى ولى المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الا قيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه ، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، موانيهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البر دون

الاثم ، وأن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا ينحجز على ثار جرح ، وأنه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، الا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وأن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة » .

(قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة) .

قال ابن اسحاق :

« وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب الا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد بالمدينة آمن ، الا من ظلم أو أثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

* * *

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ـ تحقيق : مصطفى السقا (وآخرين) جـ ٢ ص ١٤٧ وما بعدها .